سوسيولوجيا النظام القرابي في لبنان الأعراف والتقاليد والعادات نموذجا

د. قصي الحسين[1]

مقدمة

لا بدّ أولا ان نستعرض انماط الانقسامات التي يزخر بها البنيان الاجتماعي اللبناني، من عمودية الركائز: كالطوائف والعشائر والمذاهب، إلى ما عداها من مكونات القرابة المحلية، أو أفقية المجال: كالطبقات والفئات والشرائح بالمعنى الاقتصادي والاجتماعي. وقد ساهمت هذه الانقسامات بفرضية الحضارة الطوائفية الهشة. أي لكل طائفة أو مجموعة في لبنان حضارتها الخاصة وجعبتها الثقافية المميزة.[2]

لكن الطوائف والمجموعات في لبنان، هي إمكانيات اجتماعية بنيوية، ترتكز على عناصر حضارية أولية متنوعة، تنوع اللاوعي الجمعي الحضاري والثقافي لكل منها. وهي بذلك، تعبر عن خصوصيتها وفرادتها من خلال ما يسمى اصطلاحاً، بنصوص حضارية طوائفية: منها ما هو مكتوب بلغة الوعي الفئوي، ومنها ما هو متداول ومعيوش أعرافاً وتقاليد ومعتقدات دينية، وربما بتلاوين مذهبية. مما يستتبع ممارسات طقوسية مفردة، فرادة الدلالات الشكلية للرمزية الثقافية المميزة، المتموضعة في مؤسساتها المحلية.

قدّم مؤرخو الطوائف والمجموعات المختلفة، سيلاً جارفاً من المدونات في مواضيع الحضارة، الثقافة، السياسة، الدين، والمجتمع، مارونية كانت أم شيعية عاملية إلى سنية مدينية، فدرزية جبلية. كذلك فعل مؤرخو العقائد بالمقابل، فقدموا فسيفساء من التركيبات والتوليفات العقائدية، غير المبرهن عليها نظرياً وتجريبياً أو واقعياً.

الطوائف والمجموعات في لبنان، هي حقائق اجتماعية وتاريخية. وهي ترتكز إلى ذاكرات شعبية حضارية جمعية. ولهذا نراها قد تجاوزت بذلك خطوط الانفصال الطوائفي، فاندرجت واندمجت في مشروع مزاج شعبي ثقافي حضاري غالب. دفعت به كتل اجتماعية منسجمة حضارياً، فكان العامل الرئيس في تفسير استمراريتها ودوامها مؤثرة وفعالة في زمن الكيان اللبناني السياسي المتفسخ.

ومن أولى مهام هذه الثقافة الشعبية ذات التوجه المتحد، أن تأخذ هذه الحقيقة الاجتماعية بعين الاعتبار. إنها الرؤية من منظار الاختلاف والتنوع الرحيب، التي تقر وتعترف بحق الآخرين في التميز ثقافياً والتنوع اجتماعياً، باعتبارها سمات ذاكرة جمعية ثقافية حضارية، تشكل روافد تصب في مجرى القوس الثقافي الحضاري النسبي للجماعات اللبنانية المختلفة، غير انها تساهم مساهمة فعالة في بناء ثقافة الاندراج فالاندماج لجميع الطرائف والمجموعات في البوتقة الوطنية.

I- السنن الناظمة والإيقاع الاجتماعي

الذاكرة الجمعية ونظام القرابي

ساهمت وحدة المصادر الثقافية والحضارية، في المجتمعات اللبنانية، بتشكيل الذاكرات

١- أستاذ في الجامعة اللبنانية

٢- محمد دكروب: المرجع نفسه ص٦٥

الجمعية. وكذلك فعلت وحدة الأحكام والمعايير والقيم والأسس التي تحكمت وتتحكم في اعتبارات التكونات الاجتماعية لدى الطوائف والمجموعات اللبنانية، بتسهيل الانتقال إلى صعيد المزاج التكويني الاجتماعي العام في لبنان. وهي نفسها السائدة، كما نرى، في المجال العريض لتكون التشكيلات الاجتماعية العربية.[3]

وفهم وتحليل البنية الاجتماعية اللبنانية وشرح وتفسير وحدتها وصلابتها وصمودها على الشرذمة والتفتت، إنما نجد أحكامها في تحليل ابن خلدون لأنظمة القرابة العربية المختلفة، والدور الرئيسي الذي يضطلع به مفهوم العصبية في تفسير نشوئها واستمرارها وانهيارها كتشكيلات اجتماعية قبلية وعشائرية. فنظرية ابن خلدون في ذلك، تتيح لنا فهماً معمقاً في آلية تكون تحالف واحتراف الطوائف والمجموعات اللبنانية.

وبالاستناد إلى نظرية ابن خلدون، فإن الطوائف هي عصبيات اجتماعية ودينية. فهي بالتالي، علاقات قرابة. غير ان هذه الأنظمة القرابية العربية واللبنانية، تغير شكل انتظامها، الاجتماعي، دون أن تتغير وظائفها القائمة على تأمين اللحمة بين أفراد المتكون الاجتماعي القرابي. وبما أن هذه اللحمة هي وظيفة سياسية أساساً، إذ النسب امر وهمي لا حقيقة له ولا منفعة، إلّا في هذه «الوصلة والالتحام" بحسب ابن خلدون، فبناء عليه نفهم ونعي مجمل الصراعات القائمة بين مختلف العصبيات الطائفية في لبنان.[4]

ولعل الطوائف اللبنانية، تأسيساً على لاوعيها الجمعي، هي على مسافة واحدة من الحضارة أو الثقافة الشعبية. وهي بالتالي، تنطلق من جعبة واحدة تبطل الحاجة والفائدة من تعدد المرجعيات الثقافية واختلاف الغايات. إذ نجد هذه الطوائف نفسها، وعلى مستوى بنيانها الاجتماعي، إنما تشكل أحد فصول مقدمة ابن خلدون في علم الاجتماع العربي.

> **الطوائف والمجموعات في لبنان، هي إمكانيات اجتماعية بنيوية، ترتكز على عناصر حضارية أولية متنوعة**

فالمنهجيتان: الحضارية الشعبية والاجتماعية، إنما تساهمان في بناء متحد اجتماعي. بحيث لا يبقى من عوامل التفارقات والفروقات والتميز والخصوصية، ما يتيح لانبعاث ذرائع العصبيات الانقسامية التنابذية، والتنظير للقطيعة والانعزال واستحالة العيش اللبناني الوطني الواحد. ذلك أن الممارسات الفئوية تستقي من معين ثقافي شعبي واحد يهدف إلى تأمين «الوصلة واللحمة» بين أفراد المتكون القرابي السياسي، وهو في حركة اكتساحه المتدرجة لسلم السلطة العام.

صياغة السلوك الجمعي

لعل الحديث عن الوجوه الشعبية الحضارية في بلاد الشام عموماً، وفي لبنان خصوصاً أنما يتخذ أقنية ومسارب عديدة، خصوصاً إذا كان يهدف إلى بلورة البناء الاجتماعي الذي التفت حوله الطوائف والمجموعات في هذه المنطقة منذ قديم الزمان. ولهذا آثرنا النفاذ إلى ذلك عبر جولة

٣- سيور البوليس، الخوري بولس: عوائد العرب. دار الرائد العربي- بيروت ١٩٨٠، ص١٢٠.

٤- المرجع نفسه، ص٩٥.

بسيطة نقوم بها في رحاب جملة من العادات والتقاليد والأعراف، والتي ربطت بين الطوائف والمجموعات اللبنانية، سواء الصغيرة منها أو الكبيرة، والتي أسهمت تالياً في توحيدها، وصياغة آفاق حضارتها، وربما صناعة مستقبلها.

وفي حديثه عن السنن الناظمة لصياغة السلوك الجمعي على ضوء الإيقاع الاجتماعي، يقول "هاشم ياغي"، وهو يحدد تصوره لتشكل المجتمعات عبر التاريخ: "أنه حين مرّت المجتمعات بالعصور المتعددة منذ أدوار الصيد والرعي الأولى السحيقة إلى عصرنا الحاضر، كانت تتخذ في كل عصر حضاري أنماطاً في ملبسها ومأكلها وطرائق التعبير عما في نفسها بالقصص والفنون، مما يتفق والمستويات الحضارية التي المت بها. وكانت حين تنتقل من دور حضاري إلى آخر، لا تألو جهداً في الإبقاء على ما تراه صالحاً من الأنماط."[5]

بالإمكان أن نضيف إلى ذلك، ان مجمل التقاليد والعادات والأعراف، إنما كانت تشكل في الواقع النمط الأكبر احتواء لكل ما يجعل الرابطة الاجتماعية/ القومية/ الدينية، أكثر متانة وقوة وصلابة في وجه عناصر التحلل والتفكك التي قد تصيب المجتمع، أي مجتمع في وقت من الأوقات، ومن بينها أيضاً مجتمعنا العربي الأكبر وبالتالي مجتمعنا اللبناني.[6]

وما دمنا آلينا الحديث عن الوجوه الشعبية وتفريقها عن غيرها من الوجوه الأخرى، التي تسهم في تشكل البناء الاجتماعي، فلعلمنا أن التقاليد والعادات المنبثقة عن الوجدان الشعبي العام، هي الأكثر تعبيراً عمّا كان يتوحد حوله المجتمع بكل طبقاته من جهة، كما هي الأكثر دلالة على مدى تفتح الملكات الشعورية والذوقية التي أسهمت ولا تزال في بناء الهوية الوطنية اللبنانية، والتي تلامس حدود الشخصية الفردية والجمعية معاً على حدّ سواء.

لقد عرف المجتمع اللبناني كيف يبني حضارته المميزة، فكان لهذه العادات والتقاليد التي احتذاها وتمسك بها طيلة عهوده القديمة، الدور البارز في صياغة السلوك الجمعي، ذي الطابع الوطني، بحيث برز هذا المجتمع من خلاله أكثر تماسكاً واكثر تميزاً. إذ توارى الفرد الذي صاغ عادة أو تقليداً في جسم الجماعة، وغدت هذه الأخيرة المسؤولة عن النمط الذي يستجيب للمثال النابع من وجدانها العام. فبدت وكأنها تتحرك لترفده بجميع العناصر والعوامل التي تسهم في تطويره ليتجاوب مع الواقع. ناهيك عن العمل على التغيير أو التبديل، أو الحذف والإضافة. وهذا ما كان يهيء لهذا النمط من السلوك، ان يسود في الأجواء الشعبية الوطنية اللبنانية، بحرية مطلقة، حتى كاد أن يسمها بميسمه ويطبعها بطابع الهوية الوطنية.[7]

الطوائف والمجموعات في لبنان، هي حقائق اجتماعية وتاريخية

إيقاع التواصل الأهلي

والخطاب الأهلي اللبناني مأخوذ بانبساطه

٥- ياغي، هاشم: تصدير كتاب "الدنيا حكايات" لفايز الغول، وزارة الثقافة- بغداد ١٩٧٥، ص٧.

٦- المرجع نفسه، ص١٠.

٧- نابلسي، عبد الغني: رحلتان في لبنان، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٩٧٥، ص٣٥.

المتمادي الأطراف، على مساحة التوزع الطائفي والمذهبي السائد، إنما نراه يعرف عن نفسه من خلال تميزه على الصعيد البنيوي، بتفاوت ثنائي التكوين والأداء.

فهو على الصعيد التكويني والبنائي يتمفصل على ركيزتين تأسيسيتين: إحداهما داخلية، أي داخل الجماعة، وهدفه تصليب الطبيعة التشددية التقليدية على الذات الجمعية الغيرية، والتي تؤدي إلى إعادة توليد عناصر اللحمة والتواصل، داخل المتكون العصابي/ القرابي حول النصاب السلطوي الرئيسي في بنيانه العام، والأخرى خارجية تشكل من مجموعة العلاقات اليومية والمألوفة لموازين التعايش مع الجماعات العصبية/ القرابية المختلفة، بهدف التوكيد المتجدد على الطبيعة التسامحية المتقبلة للاختلاف الأهلي والذي يصبح بهذا المعنى، شرطاً ضرورياً لأوليات النفي والصراع.[8]

أما على صعيد الأداء أو الوظيفة، فإن للخطاب الأهلي دوراً مزدوجاً في إيقاعه وأهدافه. إذ هو في نهاية الأمر لغة وظيفتها الأساسية التواصل والاسترسال على قاعدة الثنائية البنيوية المذكورة آنفاً، عنينا بذلك لغة التواصل الداخلية، ولغة التواصل الخارجية.

ففي داخل الجماعة الأهلية، تسود لغة الباطن المستتر، أي لغة التذكير الدائم بأمجاد الآباء الأولين في الزمن الغابر، إن من حيث الخصال المجيدة، أو من حيث قدراتهم الخلاقة على التنبؤ والتحفز والتوثب واستثارة الشعور بالرهبة والاحترام المجلّين لمقامات من «سبقوا» والمتأصلة بتجدد وجودي في من "خلفوا" في الترشيد والتقويم. ولهذا تبدو لغة التواصل داخل الجماعة الأهلية أنها من طبيعة دهرية بالمعنى الإتنولوجي للكلمة.

لهذا تبدو الثقافة، الهوية، التاريخ، الجغرافيا، العادات، التقاليد، الطقوس المعتقدية، تؤسس لمرتكزات خصوصية بالطوائف والمجموعات اللبنانية، غير أنها كما نرى تتصف بعمومية الأهداف التي يبتغيها المجتمع الأهلي اللبناني في توجهه العام كمتحد اجتماعي.[9]

ساهمت وحدة المصادر الثقافية والحضارية، في المجتمعات اللبنانية، بتشكيل الذاكرات الجمعية

وحين تنضج ظروف التبدل السياسي في المحل وفي الجوار الإقليمي، يكون أصحاب الخطاب الأهلي أي أصحاب الحق في الكلام أو في ممارسة سلطة الكلام، قادرين وحدهم على تبديل «أخلاقية» التنابذ القيمي والمسلكي، إلى أخلاقية الانسجام والتعايش الرغيد والوئام البنياني الهادئ.[10]

II- جدل الأشكال وإشكالياتها

سرّ اللبنانيين

من الأمثال التي يرددها أهل بيروت في لبنان قولهم: "السرّ في السكان". وهذا المثل هو عصارة تجربتهم الأهلية، فيما بينهم وبين أهل المدن الأخرى في لبنان: طرابلس، صيدا، صور وبعلبك. وفيما بينهم وبين أهل القرى في الشمال والجنوب والبقاع والجبل.

٨- بريتشارد، ايفانز: المرجع نفسه، ص ٣٥.

٩- دكروب، محمد حسين: انتروبولوجيا الحداثة العربية. معهد الإنماء العربي ١٩٩٢، ص٤٥

١٠- المرجع نفسه، ٦٠.

فقد كان اللبنانيون في هذه المدن والقرى، يتنسمون طبيعة حياتهم وطبيعة تقاليدهم وعاداتهم واعرافهم، من البيئات التي كانوا يعيشون فيها. يؤكد ذلك ما ذهب إليه أحد المؤرخين التراثيين البيارتة حين قال أن مدرسة "الحقوق الرومانية، لم تشتهر بأعمدتها الشاهقة وجمال زخرفات تيجانها، بل بما أقرته على أيدي «أولبيان» و«بابنيان» من قواعد حقوقية ونظريات مستمدة من الأعراف والتقاليد والعادات المحلية للشعب.[11]

لعل الطوائف اللبنانية، تأسيساً على لاوعيها الجمعي، هي على مسافة واحدة من الحضارة أو الثقافة الشعبية

والواقع أن أجدادنا الفينيقيين لا تعود شهرتهم للسور المكتشف في وسط بيروت، بل للأعراف التجارية وتقاليدها العريقة التي أرسوها، وللأحرف الهجائية التي نشروها وصدروها مع الأرجوان والزجاج، في رحلاتهم التي خرجوا بها إلى العالم. كذلك الأمر، فإن المساجد والكنائس في لبنان، لم تعرف بالقباب والنواقيس والمآذن وحسب، وإنما بما يتردد في أرجائها من صلوات ومدائح وخطب ومواعظ واحتفالات. وبما عملت على ترسيخه من تقاليد التعاون والتعامل والتراحم والتواد بين الناس.

ولعل هذه التقاليد والعادات والأعراف التي عاشت في البيئات اللبنانية المختلفة، إنما حملت طوابع البيئة التي نشأت فيها. وقد تجلت لدى اللبنانيين كافة في مجالات مختلفة، سنأتي على ذكرها في مواضعها من هذا البحث. ونحن نجد نفوسهم لا تزال تحن إليها، لأنها كانت تسد فراغاً روحياً، لا تسده اللذائذ المادية، لما تحمل في طواياها من حقيقة الإيمان وطهر التقوى وقوة الروابط الوطنية مع الآخر، وسعادة التعاون بين أهل المناطق المختلفة وأهل المدن المختلفة.[12]

تقاليد عمل الخير

بالعودة إلى سجلات المحاكم الشرعية في بيروت وطرابلس والتي تعود إلى القرن التاسع عشر، نجد مئات الوثائق التي تعتبر نماذج رائدة في مجال التعاون والتكافل والتعايش. إذ أنشئت الأسبلة ليشرب منها الناس جميعاً. وهي من المنشآت الوقفية. كذلك تفيدنا مئات الوثائق أن المسلمين والمسيحيين في بيروت وطرابلس وصيدا وصور، كانوا يخصصون جزءاً من ريع أوقافهم لفقراء المدينة، لأية طائفة انتموا. وكان أهل طرابلس وبيروت الخيرين، يدرجون على تكريم أعمال الخير، والاحتفال بإنشاء الوقف وحضور مجالس إنشائه.

وذكر المعلم بطرس البستاني (١٨٥٩) في كتابه: «روضة التاجر في مسك الدفاتر» مثالاً عن تاجر من بيروت، كان يقيد في «دفتر الصوافي» أي الأرباح الصافية. وقد أورد في بند التصفية ٥٠ قرشاً، وذيلها بالقول: «ربح من كرمه تعالى». ولطالما كان من تقاليد التجار في بيروت وطرابلس أنه إذا جاءه زبون ثانٍ قال له: روح اشتري من عند جاري. أنا استفتحت.

العيش المشترك

١١- كرد علي، محمد: خطط الشام. دار العلم- بيروت ١٩٧٩، ٢٧٥/٦.

١٢- البستاني، بطرس: روضة التاجر في مسك الدفاتر. دار السائح- طرابلس ١٩٨٧، ص١١١.

وذكر عبد القادر قباني في مذكراته، أن مسلمي بيروت، كانوا يستعيرون دار أبي عسكر الفسيحة الواقعة في محلة الشيخ رسلان إلى الشمال من الجامع العمري الكبير، وذلك من أجل إقامة اجتماعاتهم في مناسبات أفراحهم وأعراسهم. وكانوا يتلون فيها المواليد الإسلامية والسيرة النبوية الشريفة، ويسرجون القناديل وينشدون المواويل والأهازيج الإسلامية.

الخطاب الأهلي اللبناني مأخوذ بانبساطه المتمادي الأطراف، على مساحة التوزع الطائفي والمذهبي السائد

أما أبو عسكر، صاحب الدار، فقد كان اسمه يونس نقولا الجبيلي الذي يتولى جمرك بيروت. وقد روى الأب حنانيا المنير عنه، أنه كان محباً للجميع مسلمين ومسيحيين محبوباً منهم معتبراً عندهم. وأنه كان يمرّ من داره إلى الديوان في الأسواق، فتقوم إليه الناس من المسلمين والنصارى تحييه، ومنهم من يهم بتقبيل يده، فلا يملك إلّا أن يرد التحية لهم. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تقاليد عريقة في العيش المشترك.[13]

عادات سماع القصص الشعبي

ومن العادات القديمة التي كانت منتشرة في مدن لبنان وقراه ودساكره السماع إلى القصاصين في المقاهي والمحال والدكاكين. وكان الحكواتي، وهو القصاص، «يتصدر المكان، ويقرأ لهم غالباً، القصص التي يرغبون فيها. مثل رواية عنترة والزير وسيرة أبي زيد الهلالي. وهي روايات حماسية، تعلمهم الشجاعة والكرم والأنفة والحمية والوفاء والصدق والمروءة والجرأة وحفظ الذمام ورعاية الزمار وحفظ الجار.

وغالباً ما يكون المجتمعون حول القاص الشعبي من الفئات الشعبية التي تنتمي إلى طوائف متنوعة. كذلك كان الناس الشعبيون يقصدون «خيال الظل» والذي كان يعرف عندهم ب«قره كوز وعواظ»، فيستمعون إلى المواعظ الأخلاقية، والانتقادات الشديدة التي كانت توجه إلى الفئات المنحرفة عن قواعد العامة وآداب المجتمع. أو تلك التي تعبث بمصالح القوم وأمنهم في أوطانهم.[14]

تقاليد العرس

كانت الأعراس في لبنان تجري على مقدار ذوي العروسين وطبقتهم في المجتمع. وكان يسبق العرس عدة احتفالات، تختلف باختلاف التقاليد والعادات في المنطقة. منها أخذ العروس إلى الحمام، برفقة قريباتها وصديقاتها وأترابها. وتتولى تغسيل العروس في الحمام عاملة تدعى «القيمة». تمنح مكافأة. وتتعالى بعد الانتهاء الزغاريد. ويجري في اليوم التالي احتفال آخر يسمى «ليلة الحناء». فهي لدى العامة تجلب البركة.

وتنصب منصة للعروسين في باحة الدار، بحيث يراهما الحضور، وتمتد الموائد، وتقدم انواع الطعام والحلوى والفاكهة. وتقوم بتزيين العروس وجلوتها امرأة مختصة تدعى "الماشطة" أو "المقينة". فتأتي بجميع ادوات التزيين من كحل وأصباغ ودهون. ثم تقوم بإلباسها ثياب العرس.

١٣- بريك، الأب مخائيل: تاريخ الشام. مطبعة القديس بولس، لبنان ١٩٣٠، ص٣٥.

١٤- بريك، الأب مخائيل: المرجع نفسه، ص٨٧

وتضع على رأسها تاجاً من الماس. ثم تقلدها الحلي وتجلسها على كرسي لها مخصصة بين التهاليل والزغاريد.[15]

ويقوم الحلاق بتزيين العريس واكسائه حلة العرس الجديدة. ويجري ذلك باحتفال يقام في بيت أحد أصدقاء العريس أو أقرباءه. وتسمى ليلة الاحتفال «ليلة التلبيسة». أما موكب العريس، فيخرج وقد حفّ به الشبان. تتقدمه فرقة موسيقية شعبية. ويقوم بعض الشبان بالمبارزة بالسيوف، أو بلعبة «النبوت».

تقاليد الأحزان

عرف اللبنانيون التقاليد نفسها في الأحزان، في جميع مناطقهم. وكان مفهوم الحزن واحداً عند المسلمين والمسيحيين، رغم الاختلاف في بعض الطقوس خلال الدفن. ومفهوم الموت عندهم أنه مدخل إلى الحياة الآخرة. أمّا التقليد الأساسي فيكمن في ضرورة الصلاة على الميت، وتحميلها شحنة روحية من المفروض أن ترافقها بعد الممات. ولا يقبل أحد أن تدفن الجثة بدون صلاة. حتى الشيوعيون الذين كانوا يموتون خلال الحرب، كان أهلهم يحتضنونهم، ويقيمون لهم جنازة تقليدية مع ذكرى ثالث واسبوع وأربعين لدى جميع الطوائف.[16]

اضافة إلى ذلك، فإن عدداً من العادات الآتية من بعيد، موجودة عند الطرفين. مثل توجيه الجثة في اتجاه القبلة عند المسلمين، أو باتجاه الشرق عند المسيحيين. وهو مفهوم متقارب في معناه. كذلك عادة ارتداء اللباس الأسود عند النساء والشارة السوداء عند الرجال. والامتناع عن دق الكبة في الأجران، وخلع المصاغ.

داخل الجماعة الأهلية، تسود لغة الباطن المستتر، أي لغة التذكير الدائم بأمجاد الآباء الأولين في الزمن الغابر

ومثل هذه الثقافة الواحدة تجاه الأفراح أو الأحزان، هي التي ساهمت في صياغة رؤاهم ضمن متحد اجتماعي. أذ الثقافة الشعبية هي الخزان الذي يتكون عبر التاريخ، وهي أيضاً المرآة التي تعكس صورة أبنائها. وبهذا المعنى أصبحت الثقافة الشعبية جزءاً غالياً من التراث الوطني اللبناني. ساهم في بنائه المسلمون والمسيحيون في المدن والقرى. ولهذا عاش فيهم، وكانوا يصدرون عنه بالمماثل.[17]

تقاليد الطعام

وتقاليد الطعام عند اللبنانيين، إنما هو عصب التقاليد جميعاً لا يتغير ولا يتبدل. وعنصره المتحرك الوحيد، إنما يكمن في عادات الطعام التي يلعب التثاقف دوراً هاماً في تحويرها أحياناً كثيرة.

في الريف الشمالي، كانت ميزة الطبخ الأساسية هي دخوله في إطار اقتصاد الاكتفاء الذاتي. أي الاكتفاء بطبخ ما يتم الحصول عليه محلياً، مع التفنن في الأطباق. أمّا في طرابلس، فلم يكن الطبخ يدخل في اطار اقتصاد مغلق، بل في

١٥- المرجع نفسه، ص١٢٥.

١٦- فريحة، أنيس: حضارة في طريق الزوال. دار العلم- بيروت ١٩٩٠، ص٧٠.

١٧- فريحة، أنيس: المرجع نفسه، ص٨٥.

اقتصاد منفتح، قائم على التجارة وتبادل السلع، بحكم الدور الهام الذي كان المرفأ يلعبه.[18]

ويعتمد القرويون على البرغل بشكل رئيسي. ثم ما لبث ان بدأ ينافسه الرز في منتصف القرن الماضي. واعتمد سكان القرى الجبلية على أكل النيئات من اللحوم مع الخضار النيئة. أمّا في المدن فكانوا يعتمدون على «المشويات» وعلى المحاشي. وقد عرفت طرابلس بأطباقها الدسمة مع التوابل واللبن ودبس الرمان ورب البندورة. كذلك عرفت بحلوياتها الفاخرة.

أجدادنا الفينيقيين لا تعود شهرتهم للسور المكتشف في وسط بيروت، بل للأعراف التجارية وتقاليدها العريقة التي أرسوها

ومن قواعد تناول الطعام في الريف سابقاً، أن تكون ترويقة القروي ترويقة ملك. والغداء عنده غداء أمير. والعشاء عشاء فلاح. فالريف اللبناني متشابه في جهود شبابه، ومتشابه في وجبات طعامهم. ولهذا كانوا يصدرون عنه بثقافة شعبية واحدة.

وحدة القيم ووحدة المجتمع

تقاليد الضيافة

من أهم معاملات الأهالي لبعضهم آدابهم في المجالس. فهم في قراهم أو في مدنهم، كانوا يصدرون كبراءهم في أحسن مجالسهم. وكذلك كبراءهم في الرتبة. وكانوا يتأدبون أمامهم. ويسلم الداخل على الجالسين، كما يسلم الماشي على من يمر به. وكذلك يسلم الراكب على الماشي.

ومما كان يرضي شيوخهم من التحيات، قول العامة لهم "السلام عليكم". أو "صباح الخير" أو "مساء الخير". أما في أوساط الطائفة المسيحية في المدن والجبل فكانوا يحييون بقولهم "نهارك سعيد" و"نهاركم سعيد". وكانوا يقدمون لزوارهم القهوة والتبغ والشاي والمتي، مفضلين الرجال على النساء. وكان إذا تحدث أحدهم في المجلس، لا يقاطعه أحد إلّا بعد استئذانه.

وكانوا في القرى يرحبون كثيراً بزوارهم. ويحتفون بهم، ولا يكدرونهم بشيء. بل مهما كان المضيف حزيناً، لا يظهر شيئاً أمام ضيفه. وكانوا يجلسون إلى الموائد بكل حشمة وأدب، فلا يظهرون ما تأنف منه النفوس، خصوصاً عند تناول الطعام. وكان من عاداتهم المحافظة الشديدة على مكانة الناس ومراقبتهم، باعتبار أصولهم وأسرهم ومكانتهم من العلم والمجتمع. وما كانت تزول الكرامة عن أهلها بسبب الفقر، ولا تنزل في غير موضعها بسبب الغنى. فلا يستعمل الرجل ما لا يليق بمثله من الطرفين.[19]

تقاليد المآدب

وكان الوجهاء اللبنانيون في الجبل والجنوب والبقاع، كما في سهل عكار والمناطق الداخلية المحيطة به، يقيمون المآدب على أنواعها: ١- مآدب النقرى: حيث توجه الدعوات إلى المأدبة بصورة مخصوصة لأشخاص معينين. ٢- مآدب الجفلى: حيث توجه الدعوة لعموم الناس.[20]

١٨- المرجع نفسه، ص٣٥.

١٩- اليازجي، الشيخ ناصيف: لبنان مباحث علمية واجتماعية، بيروت ١٣٣٤هجرية، ص ١٥١- ١٦٤.

٢٠- المرجع نفسه، ص١٨٥.

فكان الناس يجفلون إلى هذه المآدب كما تجفل الخيل إلى الحرب، خصوصاً في مناسبات الأفراح والأحزان. وهذه الدعوات كانت تعرف باسم «العزيمة» أو «العزومة» في مناطق أخرى. وكان صاحب الدعوة، يدعو إليها من يشاء من الأصحاب والأنسباء فيكثرون هرجهم وتبادلهم الأحاديث المختلفة، واهمها التفاخر بذكر قدمائهم، والتماجد بنجاح أحزابهم. وكثيراً ما ينشدون «المعنّى- الزجل» ويترنمون بالأناشيد الوطنية والحماسية، وأهمها «الحدو- الحداء» و«التحورب» والمواويل والعتابا والميجنا.

وتحتل الضيافة وآدابها عند الأهالي في الجنوب اللبناني، مكانة خاصة في ثقافتهم الشعبية. إذ يسود في أوساطهم ومجتمعاتهم حبهم للقرى وتمسكهم بعادات العرب والأخذ بأمثالهم الشعبية: «أضرب تتأمر واطعم خبز تتمشيخ». ويقولون أيضاً: «مالحنا» أي تناول الطعام معنا. أو يقولون: «جابرنا» أي اجبر خاطرنا المكسور بتناول الطعام معنا. وذلك لمزيد من التودد من المضيف لضيفه.

ومن عاداتهم وتقاليدهم في الجنوب وجبل عامل وعكار وخصوصاً في القرى الكبيرة التي يطرقها الغرباء، مثل النبطية ومشغرة وحلبا أن يبنوا مضيفاً ومنزولاً خاصاً للضيوف، يقوم بنفقاته أهل القرية، ويفردون له قسماً من أراضي القرية للإنفاق عليه. كذلك كان بعض أصحاب المروءة من الأتقياء، يوقفون جانباً من أملاكهم للمضيف.

مفهوم الحزن واحد عند المسلمين والمسيحيين، رغم الاختلاف في بعض الطقوس خلال الدفن

وفي المنزول، عند قدوم الضيف، كانوا يتقيدون ببعض العادات التي فرضتها التقاليد. إذ يأتي الخدم، فيخلعون حذاء الغريب الداخل، وينزعون سلاحه. ثم بعد أن يجلسوه على ديوان، يأتون بطست ماء ليغسلوا يديه ووجهه ورجليه إذا شاء. ثم ينشفون بمنديل خاص. ثم يبخرونه بالندّ. ثم ينفحون الضيف بماء الورد بمنفخ خاص. وبعد الفراغ من ذلك، يقدمون له الغليون والسجائر والنرجيلة، فالشراب، واخيراً القهوة العربية.[21]

تقاليد المواساة

عرف اللبنانيون أيضاً في مجتمعاتهم الأهلية، على اختلاف المناطق والطوائف، تقاليد وعادات خاصة في النوائب والأمراض. فكانوا إذا أصيب أحدهم بنكبة أو نائبة، كخسارة أمواله، وكذلك إذا فقد أحدهم يده أو عينه أو رجله، هرع الناس إلى بيته يسلونه بقص بعض الحوادث، ويهونون عليه مصابه. وقد يسعون له بالتعويض المالي.[22]

ومن عاداتهم في تعزية المنكوبين، اطلاق الحكم والأمثال أمامه، بما يسلي عليه غمه. فيقولون في خسارة المال: «اللي بيتعوض ما هو خسارة». و«بالمال ولا بالرجال». و«اللي ما الو ما برحلو».

٢١- غيزو (قنصل فرنسا في بيروت): بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن، مكتبة الحياة- بيروت ١٩٨٥، ص ٥٩- ٦٠.

٢٢- المرجع نفسه، ص ٨٥.

ويقولون للمنكوبين المصابين: «بنشكر الله اللي ما هو أعظم» و«أشد الأوجاع الحاضرة». و«لا تكبر مصيبتك بتصغر».[23]

تقاليد العزاء والمآتم

ومن عادات اللبنانيين وتقاليدهم في المآتم، أنهم كانوا عندما يتوفى شخص في القرية، يصعد مؤذن القرية أو ناطورها في الصباح على ربوة او على سطح مدرسة أو مئذنة أو أي سطح مشرف على القرية، وينادي بأعلى صوته: «سبحان الحي الدايم. على الأجر على الأجر. انتقل إلى رحمة ربه المرحوم فلان أو المرحومة فلانة. ويكرر النداء مرات عدة. أما في القرى المسيحية، فكان شماس الكنيسة يقرع الناقوس حزناً، مرات عديدة.

عرف اللبنانيون أيضاً في مجتمعاتهم الأهلية تقاليد وعادات خاصة في النوائب والأمراض

ولدى سماعهم نبأ الوفاة، كان من عادات الأهالي، أن يسارعوا إلى بيت الفقيد يعزون أهله ويقفون إلى جانبهم، ويعرضون عليهم مساعداتهم المالية والعينية. ثم يهب بعض الرجال إلى الجبانة لحفر القبر وبناء اللحد وتحضير الشطائح الكبيرة. كما تهرع النسوة إلى بيت الفقيد، يواسين ويعزين ويساعدن في تحضير جرار المياه للغسل والسقاية والطبيخ.[24]

وكان من النسوة من تسعى لتجهيز أعمال الخبز وتوزيع أدوار الخبازات على التنور، أو لتحضير أدوات الطعام ولوازمه، ومن ثم تحضيره وتقديمه. أمّا القسم الكبير من النساء، فيتفرغن للندب، فيعقدن مع ذوي الفقيد، حلقة متكاثفة العدد، مع الواقفات لندبه بالقول الحزين والتصفيق المنسجم والتلويح بثياب الميت.

ويقام للميت مجلس عزاء، بحسب مكانته الاجتماعية. وكان الخاصة من علماء وأدباء وأعيان، يحتفلون في دار الفقيد، أو في المسجد الجامع او في الخيمة الكبيرة في الأمكنة الواسعة. وهناك تتلى كلمات التأبين وقصائد الرثاء بحسب تقاليد كل طائفة في المآتم. ولا يتم تحديد عدد المتكلمين والمؤبنين، ولا الوقت الذي يستغرقه التأبين.

وطيلة مدة الحداد، كان اهل القرية يتجنبون وسائل اللهو والسرور كالغناء والرقص والموسيقى والدبكة. وكانوا يقتصرون في ألبستهم على الألبسة السوداء والكحلية، ويمتنعون عن دق اللحم وأكل الكبة إلى مدة تطول وتقصر، حسب مكانة الفقيد. ومن أمثالهم في ذلك: "دق اللحم واكل الكبة بيجيب لأهله النكبة». مما يجعلهم يمسكون عنه طيلة فترة الحداد.[25]

الاحتفالات الشعبية

كانت العراضة، هي من أبرز وجوه الاحتفالات الشعبية لدى الأهالي في عموم الأرياف اللبنانية. حيث تجتمع مجموعة من الشباب، ويمشون صفوفاً متراصة، ثم يحدون بالأناشيد الشعبية المناسبة لظروف الحماسة والفرح. ثم يأخذون في اطلاق البنادق بين الحين والآخر.

٢٣- فريحة، أنيس: المرجع نفسه، ص ٣٠.

٢٤- المرجع نفسه، ص ٤٥.

٢٥- بريك، الأب مخايل: المرجع نفسه، ص ١١٥.

وفي ساحة البلدة، أو أمام بيت الوجيه أو بيت العريس أو بيت الفقيد، كانوا يختمون حداءهم «بترويدة» طويلة تنتهي بلفظ «يا هو». ويقال لهذا الأشتراك العام في اطلاق البنادق وفي ترنيمة «يا هو»: «الهوبرة» وهي معروفة في الجنوب والشمال والبقاع بلبنان.[٣٦]

وبعد «الهوبرة» يأخذون بأيدي بعضهم البعض، ويؤلفون حلقة الدبكة المعلومة. وفي أثنائها يقدم للمتحلقين ماء السكر. إذ يقوم رجل بحمل حلة من الماء المحلّى، وبجانبه رجل آخر يحمل طاستين من نحاس، ويوزع بهما ما يغرف من «الشراب» على «الدبيكة» واحداً اثر واحد. وبعد انتهاء الدبكة يمشي الجميع منشدين الحداء التالي: «يخلف عليكن يا شباب ويعيدكن لمثالها».

في احتفالات الأعياد والأفراح، يتداعى شباب البلدة إلى الساحة، وينصبون البيرق في وسطها. ويقف إلى جانبه دقاق الطبل ويدق الدقات العالية، وينشد مع الحاضرين: «يا طبل اضرب ساعتك واجمع الشباب الغايبي». ثم يسيرون بالبيرق على وقع طبل الحداء البلدي وهم يطلقون بنادقهم، ولدى وصولهم يهتفون بالترويدة المناسبة: «والدار ما هو النا يا هو؟ الدار لأبو (فلان) اللي بسيفو حماها يا هو؟». ثم تكون الدبكة ونشل العمدة (القيمة/ المدحلة) المرمية في الساحة. وربما نصبوا الميدان وتبارى الفرسان في لعب الجريد.[٣٧]

ولعب جريد الميدان الذي أتقنه شباب الريف، كان يبتدئ بمظاهر متنوعة من خيولة الرمح إلى المبارزة بالسيف إلى اللعب بالجريد إلى الطراد المنظم، فالسباق. بعد ترتيب الفرسان إلى قسمين: يمين ويسار. وكانت الخيل تصطف ريشة وصائبة على جانبي الحلبة. فيخرج أحد الفرسان، ثم يلاقيه خصمه. فينطلق وراء الفارس ليرد فرسه.

تحتل الضيافة وآدابها عند الأهالي في الجنوب اللبناني، مكانة خاصة في ثقافتهم الشعبية

جملة القول

طرحت الدراسة اشكالية العلاقة بين الأعراف التقاليد والعادات من جهة والنظام القرابي من جهة. وبينت من خلال الأقسام الثلاثة التي عالجت هذه الاشكالية المجتمعية، صلة «لبنان المجتمع الأهلي» بوجوهه الثقافية الشعبية التي أسهمت في بناء مجتمع متحد، واجه بصلابة وقوة عواصف الشرذمة والتفتيت والانعزال والتقسيم التي ضربته بقوة، وعناصر التخلف والتمزق والتحلل، التي كانت تعمل على تقويض حصونه من الداخل.

كان لا بد من قراءة المرحلة الانتقالية بين لبنان في زمن تشكله التاريخي الكياني، وبين لبنان التشكل الراهن والمفتوح على أفق التفارقات والتباينات الملتبسة بين دولة الطوائف وبين الطائفة الدولة، والطوائف الدويلات. وقد بينت الدراسة في هذا القسم، أن الطوائف في لبنان، هي امكانيات اجتماعية بنيوية، ترتكز على عناصر أولية متنوعة، تنوع روافد اللاوعي الجمعي التاريخي

٢٦- الزين، علي: التقاليد والعادات في العهود الإقطاعية. دار الكتاب اللبناني- دار الكتاب المصري، بيروت- القاهرة ١٩٧٧، ص١١٨.

٢٧- المرجع نفسه، ص٨٥.

سوسيولوجيا النظام القرابي في لبنان الأعراف والتقاليد والعادات نموذجا

والثقافي لكل منها. وانها تعبر عن خصوصيتها وفرادتها من خلال ما يسمى اصطلاحاً بنصوص حضارية طوائفية.

وقفنا على مظاهر الحضارة الشعبية المتجسدة في نظم عديدة ابتكرها اللاوعي الشعبي، والتي اتبعها الناس بقوة العرف والتقليد والعادة. وقد وجدنا فيها عوامل أساسية، ساهمت في تثقيف الجماعات على اسس موحدة، بحيث كانوا يشعرون من خلالها، وهم في عين العاصفة، أنهم بمأمن عنها ثقافياً واجتماعياً، لا تذهب بهم الرياح عند هبوبها.

وباعتبار ان القيم الثقافية والحضارية والدينية والأدبية، التي تتجسد في أعراف وتقاليد وعادات المجتمعات الأهلية اللبنانية، كانت جميعها قد تبلورت في وحدة الثقافة الشعبية لدى عموم اللبنانيين في مدنهم وقراهم كافة. كذلك أسهم في بلورة الوعي الوطني، موحداً الرؤى والأهداف بين كافة الأطياف. وهذا ما ساهم حقاً بوحدة المجتمع والانطلاق سريعاً بعد استعادة الهدوء في ورشة البناء الكياني الذي لا يقبل الأنقسام. مما أتاح لجميع الطوائف والمجموعات الاندراج فالاندماج على المستوى الوطني.

الخلاصة

قد لا تكون هذه الدراسة أنجزت الكثير، ولم يكن هذا هدفها، لكنها حتماً هزت بقوة جذع النخلة الثقافية الشعبية ونبشت التراب عنها، وعاينت ما يمكن أن يسمى في البحث العلمي جميع المكونات الأساسية للثقافة الشعبية والحضارة المنبثقة عنها في لبنان، والتي كان لها الفضل في إعادة لمّ الشمل بين الطوائف والمجموعات اللبنانية، بعد أن وضعت الحرب الأهلية أوزارها، ومن ثم انطلقت من أجل بناء مجتمع وطني متحد بسرعة قصوى. شدّ انتباه الباحثين السوسيولوجيين إليها.

الطوائف والمجموعات اللبنانية تغرف من الخصوصيات المغلقة في أوقات الشدائد والأزمات

كان لا بد من الوقوف أولا، على ألوان وانواع وفنون الأدب الشعبي، واشتغال النظام القرابي عليه، لما يجسد من عوامل التباعد والتلاقي، وبمعنى آخر: عوامل الانفصال والاتصال داخل كل طائفة ومجموعة على حدة، وداخل معظم الطوائف والمجموعات بشكل عام. إذ انطلقنا من أن الثقافة الشعبية أدباً وأعرافاً وحكايات وتقاليد وعادات، إنما تتبنى بخصوصيات مغلقة، كما كانت تتبنى بخصوصيات مصرعة.

لهذه الأسباب، نرى هذه الطوائف والمجموعات اللبنانية تغرف من الخصوصيات المغلقة في أوقات الشدائد والأزمات، غير أنها سرعان ما تصرع أبوابها حين تهدأ النفوس وتعالج الخواطر وتحل العقد، وتذهب المجموعات والطوائف إلى الهدوء والسكينة. إذ التراث الشعبي كان يصنع أدبيات النفوس الحائرة والثائرة، كما كان يصنع أدبيات النفوس الهادئة والمنبسطة.

في الانسياب الشعبي وراء الحلول، حين يكون أمام العواصف العاتية، كان لا بد للبناني، من معاودة قراءة تراثه وتراث ابائه وأجداده، على

ضوء التاريخ والإقليم. وعلى ضوء العولمة أيضاً. لأن التراث هو ثمار التجاريب التي خوّضت فيها هذه الطوائف والمجموعات اللبنانية. ومثلما هو غني بالحكم، نراه أيضاً غني بالأحكام. ولا بد إذن لهذا الجهد العلمي الشعبي الذي تبلور من حراك الناس، ومن مواقفهم ومن تجاريبهم وعلومهم، أن يلقى الاهتمام من قبل الباحثين، ليعاودوا تأطيره بالحراك الاجتماعي، من أجل التنوير على مسائل الاشتباك والغموض، في فوضى الناس والوطن.

الخاتمة

ربما شكلت الثقافة الشعبية والتراث الشعبي المناطقي في لبنان، ما يشبه القول عن علاقات طائفية تفتتية، نمت وتفيأت عتمات الانكماش والانعزال والانقسام، عندما وقع لبنان من أقصاه إلى أقصاه أسير الفتن والحروب الأهلية والداخلية. غير أن اللبنانيين في كافة مناطقهم، بعد أن انتصروا على مقولة مجتمع متفتت بمقولة مجتمع متحد، وجدوا أن التراث اللبناني الحقيقي إنما هو وجه من وجوه التراث العربي الجامع من المحيط إلى الخليج. ولذلك نجد جذوره كما ظلاله الشعبية تضرب لدى جميع الشعوب والقوميات، وهو الذي عاش ولا يزال في بلاد تمتد من حدود تركيا حتى المغرب العربي.[٢٨]

إزاء ذلك نجد انه من الشقاوة بل من التخلف بمكان، تصوير التراث فوتوغرافياً، في مؤلفات تزداد يوماً بعد يوم، والعمل اجتماعياً على فرض شرنقته، دون أن نعي مدى رحابته في الامتداد بين مختلف المجتمعات، وكذلك مدى مساهمته في بناء ثقافة شعبية مبدعة، تجعل الناس يتشجعون على مغادرة الانغلاق، إلى آفاق الانفتاح. إذ المطلوب حقاً، غربلة التراث والثقافة الشعبية، سواء اللبناني منها أو العربي، لاستخراج ما هو قابل للحياة، والتخلي عمّا ترفضه بدورها الحياة.[٢٩]

مسألة الثقافة الشعبية والتراث الشعبي، يجب ألّا تأتي من زاوية الأدب أو النقد

فمقاربة الموضوع، في مسألة الثقافة الشعبية والتراث الشعبي، يجب ألّا تأتي من زاوية الأدب أو النقد، ولا أن تنتمي إلى نوع من الدراسات المفصلة لحالة مخصوصة من الثقافة الشعبية أو التراث الشعبي، بل على هذه المقاربة أن تنتمي إلى حيز يقع بين الأبستمولوجيا وسيسيولوجيا المعرفة، لأنها هي الأكثر توافقاً مع الأفكار التي نستطلعها.

ولأن الثقافة الشعبية هي جزء من التراث، فقد يهيأ لنا خطأ أنها ثقافة جامدة. غير أننا رأيناها على العكس من ذلك ثقافة متحركة متطورة، تقبل أن تكتسب جديداً، كما تقبل ان يضاف إليها. فهي بذلك خاضعة للفكر الإنساني ولعلاقات الناس ولتداول الأزمنة. ولا يزال تصنيف غرامشي لمكونات الثقافة الشعبية إلى "حس عام وحس سليم" وكذلك إلى لغة ومعتقدات دينية شعبية وفولكلور، يشكل أساساً صالحاً كمدخل لمعالجة هذه الإشكالية. وكما أن الاطروحات السياسية تستجلب الناس من كل الفئات والطبقات، فإن المعتقدات الشعبية والأمثال تخترق كل فئات

٢٨- سليمان، موسى: الأدب القصصي عند العرب. دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦، ص١٥.

٢٩- معتوق، فريدريك: منهجية العلوم الاجتماعية عند العرب وفي الغرب. المؤسسة الجامعية- بيروت ١٩٨٥، ص٦٥.

الشعب وطبقاته المادية وتتبيأ بينهم.[٣٠]

واشكالية القديم/ الجديد، والأصيل/ الوافد في الثقافة الشعبية، بل اشكالية التراث والحداثة والأصالة والتغريب، إنما تتحول إلى اشكالية داخلية في قعر الثقافة الشعبية نفسها. وهذا الواقع بدوره، ناتج من الاختراق الثقافي/ الإعلامي الذي تشكله وسائل الإعلام بفعلها المتراكم في تكوين الرأي العام. كما هو ناتج من مجمل تناقضات وخصوصيات البنية المجتمعية. ومن هنا كان التنافر الحاد أحياناً في بنية الوعي الشعبي الفردي والجمعي. ولو أن ذلك لا يلغي وحدة الثقافة الشعبية وبأنها اصدق مؤشرات التاريخ. فهي وإن لم تؤرخ، غير أنها تقدم لنا ما لم ينقش وما لم يؤرخ في المخطوط.[٣١]

التراث العفوي الرشيق الصادر من أعماق الشعب، هو أصدق تعبير عن الهوية

ولأن الثقافة الشعبية اكثر صدقاً واكثر دلالة ولو أنها لا تؤرخ، فإنما هي تدحض كذبة التعدد الثقافي والتعدد الحضاري التي يطلقها بعض القائلين بالتعددية الثقافية، لأنها كانت في مبتدئها وحتى اليوم، تعم الجميع بدون استثناء. وترحل إلى جميع البلدان، فتحمل طوابع البلاد التي تمر بها، تماماً كرسائل البريد.

لقد حدد أنيس فريحة عمله في كتاب «حضارة في طريق الزوال» بأنه: «في إطار الفولكلور الذي يحضن كل المعارف الشعبية البدائية، والعادات والتقاليد والسجايا والمعتقدات والأساطير والخرافات والأقاصيص والأمثال والشعر العامي والألعاب والمسليات والأعياد والحفلات والمواسم وكل ما يدور في جوانب القرية وافراحها وأتراحها إلى ما هنالك».[٣٢]

غير أن هذ التراث العفوي الرشيق الصادر من أعماق الشعب، مقروناً بالعاطفة واللحن، ممزوجاً بالفن والمعاناة، إنما هو أصدق تعبير عن الهوية، إن لم يكن هو الهوية بكينونتها وسيرورتها وتطلعاتها. والالتصاق بالثقافة الشعبية وتوارثها بين الأجيال، هما الحصانة للمجتمع من الانحراف، ومناعة للوطن من التفتت والتشرذم. وتراث لبنان جلي وغني وقوي، لأنه من طبيعته، وهو يعبر عن الوجه الساطع للذاكرة الشعبية. إنه الحب المخزون في ثنايا الأحياء في مدنه وكذلك في ثنايا القرى والدساكر والحقول في ريفه. وهو الخبز الذي يطيب، كلما مرّت عليه الأيام.

ثبت المصادر والمراجع

ابن الحنبلي: بحر العوام، دار المعرفة العلمية- بيروت ١٩٩٠.

ابن منظور: لسان العرب: مادة أفز.

أبو سعد، أحمد: اللهجة اللبنانية في أصول العربية. مجلة الفكر العربي، العدد ٧٧.

٣٠- أتكن، هيوغ: دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية. ترجمة د. محمود زايد. دار العلم- بيروت ١٩٨٢، ص٣٠.

٣١- زيادة، خالد: الصورة التقليدية في المجتمع المديني. منشورات معهد العلوم الاجتماعية- الجامعة اللبنانية، (ط١)، طرابلس- لبنان ١٩٨٣، ص١٧.

٣٢- البدوي، عبد الرحمن: النقد التاريخي. دار النهضة العربية. القاهرة ١٩٤٣، ص٦٥.

أبو محاسن: المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية. دار الآفاق الجديدة. بيروت ١٩٨١.

أتكن، هيوغ: دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية. ترجمة د. محمود زايد. دار العلم- بيروت ١٩٨٢.

أحمد، طالب قره: الموروث اللغوي (صيدا نموذجاً). راجع كتاب النصوص المطبوعة. نادر سراج. بيروت عاصمة عالمية للكتاب ٢٠١٠.

أرسلان، شكيب: علاقة التاريخ باللهجات. مجلة المقتطف. مارس/ آذار ١٩٣٢.

الأسمر، عبد القادر: رمضان في طرابلس. ذكريات ومشاهد. دار الأيمان بطرابلس ٢٠١٠.

أنطوان ضوميط: وثائق المحاكم الشرعية في خدمة تاريخ لبنان، السجل الأول، ضمن أعمال المؤتمر الأول لأرشيف تاريخ لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٨٣.

ايفانز بريتشارد: الانتروبولوجيا الاجتماعية. ترجمة أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، ١٩٨٠.

البدوي، عبد الرحمن: النقد التاريخي. دار النهضة العربية. القاهرة ١٩٤٣.

بريتشارد، أيفانز: الأنثروبولوجيا الاجتماعية. الأسكندرية ١٩٨٠.

بريك، الأب مخائيل: تاريخ الشام. مطبعة القديس بولس، لبنان ١٩٣٠.

البستاني، بطرس: روضة التاجر في مسك الدفاتر. دار السائح- طرابلس ١٩٨٧.

تيمور، محمود: معجم تيمور الكبير، دار المعارف- بيروت ١٩٩٥, ١٢٨/١.

حريز، سيد حامد: الحكاية الشعبية عند الجيلين. دار الجيل- بيروت ١٩٩١.

خالد زيادة: الخسيس والنفيس. الفئات في المدينة الإسلامية. مجلة الفكر العربي، العدد ٢٩، بيروت ١٩٨٢.

دكروب، محمد حسين: انتروبولوجيا الحداثة العربية. معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٩٢.

زيادة، خالد: الصورة التقليدية في المجتمع المديني. منشورات معهد العلوم الاجتماعية- الجامعة اللبنانية، (ط١)، طرابلس- لبنان ١٩٨٣، ص١٧.

الزين، علي: التقاليد والعادات في العهود الإقطاعية. دار الكتاب اللبناني- دار الكتاب المصري، بيروت- القاهرة ١٩٧٧.

ستراوس، كلود ليفي: نظرات إلى الأشياء. ترجمة خليل أحمد خليل. مجلة الفكر العربي، العدد ٧٧.

سجلات محكمة طرابلس الشرعية، المجلد العاشر، ١١٦١ – ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨- ١٧٤٩م

سليمان، موسى: الأدب القصصي عند العرب. دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦.

سنجقدار، محمد: محكية طرابلس وأمثالها. طرابلس- لبنان، ٢٠٠٩.

سيور البوليس، الخوري بولس: عوائد العرب. دار الرائد العربي- بيروت ١٩٨٠.

الشيخ أحمد البديري الحلاق: حوادث دمشق اليومية. القاهرة، ١٩٥٩.

عبد العزيز عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية (١٨٦٤ – ١٩١٤)، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩.

عبد الغني نابلسي ورمضان العطيفي: رحلتان في لبنان. المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٩٧١.

غيزو (قنصل فرنسا في بيروت): بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن، مكتبة الحياة- بيروت ١٩٨٥.

فريحة، أنيس: حضارة في طريق الزوال. دار العلم- بيروت ١٩٩٠.

كرد على ، محمد: خطط الشام. دار العلم- بيروت ١٩٧٩.

لويس غاردية: أهل الإسلام. دمشق ١٩٨١.

مجلة الحداثة- بيروت ١٩٩٤, العددان (٣و٤).

معتوق، فريدريك: منهجية العلوم الاجتماعية عند العرب وفي الغرب. المؤسسة الجامعية- بيروت ١٩٨٥.

المعلوف، عيسى اسكندر: تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٦.

نابلسي، عبد الغني: التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٩٧١.

نابلسي، عبد الغني: رحلتان في لبنان، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٩٧٥، ص٣٥.

اليازجي، الشيخ ناصيف: لبنان مباحث علمية واجتماعية، بيروت ١٣٣٤هجرية.

ياغي، هاشم: تصدير كتاب "الدنيا حكايات" لفايز الغول، وزارة الثقافة- بغداد١٩٧٥.